افضل وقيل صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان محمد ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نجتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى « او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم » كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان اخوه يتحرج من الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الآية « واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء »

الاشتراكية والدين

(ملخص من كتابنا الحكمة الشرعية)

علم مما تقدم عن الاحياء للامام الغزالي أن عليا درجات الاخوة ورتبها هي كون الاخوان كلهم خلطاء في الاموال وشركاء لا يميز بعضهم رحله عن بعض ومعلوم أن المؤمنين كلهم أخوة « كما في نص القرآن » وان كان الكثير بل الأكثر منهم غير قائم بحقوق هذه الأخوة ، واذا كان بلوغ الرتبة العليا من الأخوة مستحسنا ومطلوبا شرعا فهو دليل على أن الاشتراكية التي ينزع اليها بعض الجمعيات في أوربا مستحسنة ومطلوبة في الجملة لان لها أصلا في الشريعة الاسلامية الحقة المؤيدة بالنقل الصحيح مع أننا نرى الحكماء والعقلاء لا سيما رجال الدين منهم يطلقون القول في ذمها وذم دعاتها فهل ذلك من الصواب أم لا ؟

الجواب — الذي يتراءى لنا هو اننا اذا نظرنا في المسألة بعين العقل المجرد تجلى لنا أن للاشتراكيين مطالب عادلة في الجملة وانهم معذورون في تحزبهم للتحامل

على الاغنياء الذين هم يرامون و يمنعون الملايين، ينفقون اسرافا وتبذيرا، ولا يرحمون مسكينا ولا فقيرا، لكن بعض مطالبهم جائرة لا يمكن أن ترضى بها أمة من الناس كما يقال عن بعضهم القول بأن الاشتراك ينبغي أن يكون في كل شيء حتى في الابضاع وهو سفه من القول لا يقول به الا السفهاء والى الآن لم يستطع أحد من زعماء الاشتراكيين أن يأتي بتعاليم للاشتراكية مقبولة عند جماهير العقلاء المنصفين ولو طالبوا عامة الرعية في الدين الاسلامي لظفروا بها — ذلك أن الشريعة الاسلامية الغراء تفرض في أموال الاغنياء من عين أو تجارة وفي نتائج زراعة الزارعين فرضا معينا يخف عليهم أداؤه تصرفه لمن يعجز عن كسب يقوم بكفايته من فقير ومسكين وللغارمين وأبناء السبيل الخ التفصيل المعروف في كتب الفروع

وهذا الفرض يلزم به الاغنياء إلزاما ويجبرون عليه اجبارا ، وتحث الناس بعد ذلك على التنفل في الصدقة وعلى الصلة والهدية والمواساة واكرام الضيوف وعلى الصداقة والاخوة التي أرفع درجاتها أن يتصرف الصديق في مال صديقه كما يتصرف في مال نفسه ولا يصادف منه على ذلك الا الرضى بل الفرح والاستبشار . نعم هذه الرتبة لا يصل عليها الناس كرها وانما يقادون اليها بسلاسل الآداب الدينية مع الرفق والحكمة الى أن يأتوها راضين وذلك بنشر تلك الآداب والتربية للاحداث ذكرانا وأناثا على أصول تعاليمها

لا ريب أن انتهاج هذا المسلك يأتي بفائدة كبرى للأمة هي السعادة بعينها وان كان وصول جميع الافراد لمرتبة الاخوة الكبرى بعيد المنال، لما يعترض التربية من العوارض الخارجية والاحوال ، فضلا عن كون تعميمها لا يتم الا بالقوة وكثرة المال ، واكراه العموم على ذلك حرج شديد ، لا يقول به ذو رأي سديد ، ولا يزال أولئك الاشتراكيون كلاًّ على كاهل أوربا ولا يصلون الى تمام ما يطلبون لأن رجال الدين ورجال السياسة جميعا يرفضون تعاليمهم و يسفهون أحلامهم الا ما كان من الجمعية الفرنساوية التي تسمى جمعية الأخوة فأولئك تشبه أحوالهم وتعاليمهم ما كان من الاخوة في شبيبة الملة كما تقدم عن الاحياء وقد صدر عن هذه الجمعية آثار نافعة لأمتهم من نشر العلوم والفنون الرياضية والفلسفية مقرونة بالدين المسيحي

على المذهب الكاثوليكي وقد انتشرت مدارسهم في ممالك الشرق يوطئون المسالك ويمهدون السبل لامتداد نفوذ فرنسا وتسلطها على البلاد التي ينشرون فيها تعاليمهم كما يفعله غيرهم من جمعيات دول أوربا في ممالك الشرق وأهل الشرق لاهون غافلون عما يراد بهم

قاعدة في الطاقة، والكلب يأكل في العجين

يا كلب كل واتهنّا، ما للعجين اصحاب

بل أهل الشرق نيام فاذا ماتوا باستبداد الأجانب لم ينوقشوا الحساب، وحاق بهم العذاب، انتبهوا وأنى ينفع الانتباه، ولا حول ولا قوة الا بالله، وأجدر بالمسلمين أن يكونوا هم السابقين لمثل تلك الجمعية، بل ولكل مزية مفيدة مرضية، من المزايا التي سبقتنا بها الامم الغربية، وما كنا لنستغيث فيصبر جميل

هذا وان للاشتراكيين والمتأخرين في أوربا حجة في كتابهم الديني الذي عليه مدار النصرانية وهو المسمى بالعهد الجديد فقد ذكر فيه ما نصه

«وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول ان شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم اذ لم يكن فيهم أحد محتاجا لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها على أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد له احتياج ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ لاوي قبرسي الجنس اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند ارجل الرسل ورجل اسمه حنانيا وامرأته سفيره باع ملكا واختلس من الثمن وامرأته لما خبر ذلك وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في سلطانك فما بالك وضعت في قلبك هذا الامر أنت لم تكذب على الناس بل على الله . فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات ومار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك فمهض الاحداث ولفوه وحملوه خارجا ودفنوه ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات

أن امرأته دخلت وليس لها خبر ماجرى فأجابها بطرس قولي لي أفابهذا المقدار بعنا الحقل قالت نعم بهذا المقدار فقال لها بطرس مابالكما اتفقتما على تجربة روح الرب هو ذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب وسيحملونك خارجا فوقعت في الحال عند رجليه وماتت فدخل الشباب ووجدوها ميتة فحملوها خارجا ودفنوها بجانب رجلها فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك» انتهى من أواخر الاصحاح الرابع وأوائل الاصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل (ابركسيس)

وفيه أن الاشتراك كان في كل شيء متصل عندهم وهو مصرح به في الاصحاح الثاني أيضا وان الاشتراك كان مانعا لاحدهم أن يتصرف في ماله كيف يشاء ويختار أو يمسكه عنده بل كانوا يلزمونه أن يؤديه الى الرسل وهم يفتون عليه كما يريدون . ألم تر الى بطرس كيف عد حنانيا مختلسا عند ما أمسك بعض ثمن الحقل وهذا الحد من الافراط لم تقل به الشريعة الاسلامية ولا في أوائل مدة الهجرة التي شارك فيها الانصار المهاجرين في أموالهم طوعا واختيارا وحيث كان التوارث بالاسلام لا بالقرابة لما تقتضيه حالة ذلك الوقت وأما تعاليم العهد الجديد الذي هو أصل النصرانية كما ألفنا اليه قريبا فجميعها ناطقة بالافراط في التمسك بالفضائل وتلزم الآخذ بها أن يكون أزهد الزهاد لا يتخذ مالا ولا يقتني جاها ولا يدافع عن نفسه بل يكون خانعا ضارعا مستسلما لتصرف الحاكمين مستسلما لتعدي المعتدين» وقد رفض النصارى تلك التعاليم من حيث التطبق والعمل وادعوها بقول البعض» كما أن المسلمين قصروا بنشر تعاليم دينهم لخالصة من الشوائب ولم يتمكنوا بأخلاقهم على وجه الكمال الذي حدده لهم الا قليل منهم مع انه الكفيل لهم بسعادة الدارين والفوز بالحسنيين ولذلك جدت أمم النصارى في مصالح الدنيا وهم قاعدون» وظلوا بالتعب وهم مغلوبون» فانا لله وإنا اليه راجعون اهـ

(المنار) هذا ما كتبناه «في الحكمة الشرعية» من بضع سنين ولم نقصد به الاعتراض على أصل مقصود الملة النصرانية ولا على تعاليمهم لاننا نعلم أن الافراط في التقشف عن الدنيا وفي التزهد بالمال والسلطة كان مناسبا لحال ذلك

العصر لما كان عليه الناس من الفساد والبغي وطغيان الشهوة والقوة بسبب مدنية الرومانيين المعروفة ، وانما تعجب من أحوال الامتين ، وعدم انطباقها على تعاليم الديانتين ، وفي العروة الوثقى مقالة نفيسة في هذا الموضوع سننشرها في عدد قابل ان شاء الله تعالى

الاصلاح الاسلامي والجرائد

عند ماعزمنا على انشاء المنار كاشفنا بعض اهل النظر والخبرة بزمننا وشاورناهم في الامر فقال أوسعهم اختبارا ان الجريدة لا تروج الا اذا جاءت بمشرب جديد وطرقت سبلا لم تكن تطرق وهي مما يحتاج الى السلوك فيها . ولما ظهر المنار اعترف صاحب هذا الرأي كغيره بأنه جاء بما لم تأت به الاوائل من بيان الامراض الاجتماعية التي طرأت على الامة الاسلامية والشرق كله والبحث في اسبابها وعلاجها وحمد سعينا وعلا الفقلاء والفضلاء واصحاب الجرائد خاصة قولا وكتابة الا ان جريدة معلومات العربية انتقدت علينا مرة ما كتبناه عن مراكش من سوء الحال ، ودوام الاختلال ، المؤذن — ان لم يتدارك — بالزوال ، وبنت انتقادها على أن تلك البلاد متمسكة بالدين ومن لوازمه الانتظام وحسن الحال وانه ما كان ينبغي لنا أن نجهل بيان ضعفها واختلال شؤونها محافظة على كرامتها ! ثم انها مع ذلك استحسنت ما نصحنا به سلطان مراكش من الاستعانة بمولانا السلطان الاعظم على الاصلاح بأن يطلب منه رجالا لبث المعارف والفنون العسكرية في بلاده . ومن الغريب أن بعض أكابر رجال الدولة كتب الينا يوما يستحسن ما نشرناه في شأن مراكش إلا الاستعانة بسلطاننا قال لنا ترسل اليه الدولة مثل فلان وذكر رجلا من موظفي المعارف يعلم الناس الفنون على جهالته . . . وانتقد علينا أيضا من ادارة جريدة طرابلس فكتب لنا أولا (١) يأمرنا بمدح المسلمين وكشفنا الستار عن جهالتهم وضعف دولهم وانه كان ينبغي لنا أن نسدل الستار على هذه المخازي والمفادر ونأول للمغلطين على أعين الناس من الاجانب والاعداء ، ثم كتب في الجريدة شيء في هذا . ووافق طرابلس

---

(١) الذي كتب هذا هو شيخنا الشيخ حسين الجسر